المبحث الثانى

التلفزيون وقيم الاسرة الموصلية

ان تقنية تكنولوجيا الا علام في المجتمع الحديث ينظر اليها من حيث كونها نهراً عظيماً يغذي الارض التي يلمسها متتبعا خطوط التضاريس الحالية ولكنه يمهد الطريق للتغيير على المدى الطويل وقد يجد احيانا بقعة تكون فيها الارض رخوة ومهيئة وهناك يشق مجرى جديد واحيانا يكتسح امامه جزءا من الارض مما يعطي مجرى الذهر شكلا جديدا[١]. وهكذا يعمل التلفزيون شيئا فشيئا على التغيير إلى ان يشكل تأثيره تراكما عبر الزمن يؤدي فيما بعد إلى التغيير بمساعدة عوامل اجتماعية ونفسية عديدة.

وقبل الخوض في غمار الموضوع لابد ان نعطي صورة موجزة عن التلفزيون العراقي ثم عن التلفزيون في مدينة الموصل.

افتتح الملك فيصل الثاني مبنى التلفزيون العراقي رسميا يوم ١٩٥٦/٥/٢ وكان الارسال في ذلك اليوم اربع ساعات، ويعد بذلك العراق من اول الاقطار العربية التي ادخلت التلفزيون إلى بلدانها، ومن الجدير بالذكر ان محطة تلفزيون العراق كانت مهداة من شركة (باي) البريطانية إلى الحكومة العراقية اذ ان هذه الشركة كانت تقيم معرضا في بغداد عام ١٩٥٤ وبعد ان اعدت ملاكات عراقية في بريطانيا اصبحت هناك امكانية للتشغيل اذ كان ذلك عام ١٩٥٦[٢].

---

(١) عبد العزيز شرف، مصدر سابق، ص١٠.
(٢) خالد حبيب الرواي، تاريخ الاذاعة والتلفزيون في العراق، بغداد، دار الحكمة للنشر، ١٩٩٢، ص١٠٣.

وبعد اكمال شبكة المايكرويف عام ١٩٧٦ ارتبطت خمس محطات محلية بالمحطة المركزية في بغداد وهي (التأميم، والبصرة، ونينوى، وميسان، والمثنى) وانجزت مباني بتفاصيل معمارية موحدة لكل المحطات الاقليمية الخمس وكانت كل محطة من هذه المحطات قد اعتادت على انتاج ساعة أو ساعتين من البرامج اليومية تتناول الاخبار المحلية والنشاطات السياسية والثقافية والرياضية[١].

اما تلفزيون نينوى فكان يبث لعدة ساعات في اليوم خلال السبعينات ثم قلصت إلى ساعة واحدة من البرامج المحلية الخاصة بالمحافظة خلال الفترة المسائية ما بين السابعة والثامنة مساءاً من خلال القناة الاولى في بداية الثمانينات[*]. ثم الغيت هذه الساعة واقتصرت على انتاج بعض البرامج التي تبث في الاحتفالات والمناسبات (كبرامج المنوعات، وبرامج تراثية، وتمثيليات درامية) واخيرا اقتصر نشاط تلفزيون نينوى على اصدار جريدة تلفزيونية تهتم باخبار وانشطة المحافظة تبث ظهيرة كل يوم جمعة فضلا عن بث مؤقت اثناء فترات انقطاع البث المركزي من بغداد عند حدوث عطل معين أو حدوث ظروف جوية سيئة أو عند تعرضه للقطع جراء القصف المعادي[**].

---

(1) Saad Labeb, "Media for people in cittes", U.N. Educational scientific and cultural organization , 1984 , p. 44.

(*) القناة الاولى كانت هي القناة الرئيسة للتفزيون العراقي ثم استحدثت القناة الثانية واستمرت حتى عام ١٩٩٣ حيث الغيت واستحدثت قناة تلفزيون الشباب التي كان لها حضور مميز لدى المشاهدين ثم تلفزيون بغداد الدولي لمدة سنة واحدة والغي وافتتحت عام ١٩٩٨ قناة العراق الفضائية.

(**) ونتيجة للعدوان الثلاثيني على العراق عام ١٩٩١ انقطع البث المركزي لعدة اشهر وحل محله البث المحلي لتلفزيون نينوى لحين عودة البث المركزي، وكان آخر انقطاع للبث المركزي = بسبب العدوان الامريكي الاخير بتاريخ ١٩٩٨/١٢/١٧، اذ قام تلفزيون نينوى بمواصلة البث لحين قيام ملاكاتنا الوطنية باعادة البث الرئيسي بعد مدة قصيرة.

ومن الجدير بالذكر ان محافظة نينوى ومدينة الموصل بالذات يصلها بث قنوات غير عراقية بحكم موقعها الجغرافي القريب من الحدود مع الدول المجاورة، اذ يصلها بث قنوات التلفزيون السوري (ولاسيما الفضائية السورية) التي تلتقط بوضوح وكذلك بعض القنوات التركية ولكن بصورة اقل وضوحاً من القنوات السورية(***).

كما انه في نهاية عام ١٩٩٨ كانت اجهزة التلفزيون في مدينة الموصل تلتقط برامج قنوات كردية محلية تبث من محافظتي دهوك واربيل المجاورتين لمحافظة نينوى اذ كانت تبث برامجها باللغة الكردية ويتابعها الاكراد في مدينة الموصل والذين يشكلون نسبة من سكانها ويعيشون فيها منذ مدة طويلة.

هذه صورة مختصرة عن التلفزيون العراقي وعن تلفزيون نينوى وما يلتقط من قنوات غير عراقية وغير مركزية في المدينة وهي بداية لما يطلق عليه الآن بعصر القنوات الفضائية.

(***) برزت في مدينة الموصل حمى عن اجهزة تقوية البث والاهتمام الشديد بهوائيات استقبال البث التلفزيوني اذ يلاحظ بوضوح ارتفاع اسعارها في السوق فضلا عن ارتفاع هوائيات الاستقبال في اسطح المنازل إلى ارتفاعات عالية من اجل الحصول على صورة اوضح وعدد اكبر من القنوات التلفزيونية غير العراقية.

نظرة اولية عن مجتمع الموصل:

يعجب المتصدي لبحث الجوانب الاجتماعية لمدينة الموصل من ندرة ما كتب في هذا الجانب، فهذه المدينة العريقة لم تنل حظها في الكتابات بعامة والكتابات الاجتماعية بخاصة(١).

وان اكثر ما كتب عن هذه المدينة هو تاريخي بحت اذ تناولت معظم الكتابات والبحوث الموصل في التاريخ وفي اثناء الحروب والازمات التي مرت بها المدينة، اما عن الموصل في العصر الحالي فان ما كتب عنها قليل جدا ومبعثر في اجزاء صغيرة من البحوث والدراسات (خاصة الاجتماعية) اذ نلاحظ ندرتها بشكل ملفت للنظر وقد يرجع ذلك إلى حداثة علم الاجتماع في هذه المدينة لان قسم الاجتماع في جامعة الموصل افتتح عام ١٩٨٥ ودوره كان محدودا في اجراء مثل هذه البحوث والدراسات.

وباختصار فان الحياة الاجتماعية لم تأخذ حقها مطلقا من حيث الدراسة وكل ما هو موجود قديم وتراثي وكأن المدينة (ميتة اجتماعيا) ودورها يقتصر على سمعتها التاريخية عبر العصور !!!.

والمجتمع الموصلي بصورة عامة يتميز بصفات عديدة ابرزها انه يمتاز بصبغة دينية أي انه مجتمع محافظ وملتزم دينيا (ويلاحظ كثرة الجوامع والكنائس بشكل ملفت للنظر) كما انه مجتمع متعدد القوميات والاديان والمذاهب التي تعيش بانسجام منذ مدة طويلة من الزمن من دون تزاحم ولا

(١) موفق ويسي ومحمد حربي، الحياة الاجتماعية في الموصل، موسوعة الموصل الحضارية، الموصل دار الكتب، المجلد ٥، ١٩٩٢، ص٢١٣.

صراع حتى ان المآسي والفتن التي عرفتها المدينة لم تمنع التجانس ليبدو الجميع وكأنهم ينتمون إلى عنصر واحد(١).

ان الحياة الاجتماعية في هذه المدينة تصطبغ بنتيجة المصاعب التاريخية بالتماسك الاجتماعي والاعتزاز بالتقاليد والقيم السائدة في المجتمع والدفاع عنها وحمياتها مما اعطى للمكونات الثقافية عوامل الديمومة والاستمرار فضلا عن ديمومة النمط الاسري والعلاقات الاسرية بوصفها الوحدة الاساسية في التنشئة الاجتماعية والاداة الجوهرية في ترسيخ البناء القيمي وتدعيم النمط الثقافي للجماعة بما يجعلها اكثر تماسكا امام المؤثرات الخارجية(٢). كما ان هناك نظرة غالبة على مجتمع الموصل بانه مجتمع منطوي مغلق على نفسه، ولكن هذه النظرة بدأت تتغير بشكل بطيء وتدريجي بحكم موقع المدينة من حيث كونه مركزاً تجارياً مهماً في المدة الحالية وزيادة احتكاكها بالمحافظات المجاورة والعاصمة بغداد فضلا عن التأثير الكبير لعوامل التحضر في المدينة.

اما الاسرة الموصلية التقليدية فتنطبق عليها معظم الخصائص المميزة للاسرة التقليدية، فهي ابوية السلطة، وابوية السكن وتوزعت ادوار اعضاءها وفقا للعمر والجنس وقدمت الوظائف الاساسية الاقتصادية والاجتماعية والنفسية لافرادها(٣). فهي اسرة ممتدة تحوي اكثر من جيل يفضل فيها الذكور على الاناث ولهم السلطة داخل الاسرة، والعلاقات الاجتماعية السائدة ضمن الاسرة الموصلية مبنية على المحبة والاحترام المتبادل، وكان للاب منزلة كبيرة ويأتي

(١) المصدر السابق، ص٢١٥.
(٢) احمد حسن حسين، اثر الجامعة في تنمية المجتمع، رسالة دكتوراه غير منشورة، بغداد، كلية الآداب، ١٩٩٦، ص٥٣.
(٣) عبد الله مرقس، التحضر في مدينة الموصل، رسالة دكتوراه غير منشورة، بغداد، كلية الآداب، قسم الاجتماع، ١٩٩٥، ص٢٨٧.

الاول في توزيع السلطة داخل الاسرة وكانت كلمته هي النافذة ورأيه الاول والاخير حتى لو كان على خطأ، تأتي بعده الام في سلم المسؤولية والسلطة ورأيها نافذ على الاولاد ومن ضمنهم المتزوجون الذين قد يتعرضون للمشاكل بسبب تصرف زوجاتهم(١).

والاسرة الموصلية (كما ذكرنا) ابوية السلطة يحمي سلطان الاب فيها كما كبيرا من الارث الثقافي وبسبب من طبيعتها هذه فضلا عن الحاجة القوية للتضامن التي يخلقها المجتمع المتنوع، انتمى الموصلي إلى اسرته مما ساعد على مدها فظهرت في شكل العائلة الممتدة التي تدور مصالحها وحياة افرادها حول قطب واحد يمثله رب العائلة الكبير، ولعل هذا ما يفسر لنا الظاهرة البارزة في المجتمع الموصلي للانتساب إلى العائلة اكثر من العشيرة أو القبيلة(٢).

ان افراد المجتمع المتنوع القوميات والاديان يميلون إلى التكتل حول اسرهم من اجل الحصول على التضامن الاجتماعي الذي يمثل حاجة رئيسة لدى افراد المجتمع فيلتف افراد الاسرة الممتدة حول الجد الكبير للاسرة والذي غالبا ما يعرف بلقب معين ناجم من المهنة التي يمارسها أو عن سمة معينة في شخصيته، اذ ان الالقاب كانت ولا تزال من الظواهر الشائعة في مدينة الموصل واذا ما عرف شخص معين بلقب ما فان هذا اللقب يلازمه حتى بعد مماته، ونظرا لصغر مساحة المدينة وقلة سكانها في السابق فان الالقاب معروفة لدى الجميع، ومن الجدير بالذكر ان ظاهرة (التسمية الاسرية) أي

---

(١) لقاء مع اللواء المتقاعد ازهر العبيدي (كاتب وباحث لديه العديد من المؤلفات المنشورة حول الموصل، ١٩٩٩).
(٢) موفق ويسي، مصدر سابق، ص٢١٥.

الانتساب إلى اسرة معينة وعدم الانتساب إلى العشيرة أو القبيلة يعد مظهراً من مظاهر التحضر والتمدن، كما ان الاسرة الممتدة كانت تجلب حولها الاقرباء من الدرجة الاولى ليسكنوا بالقرب من مسكن الاب الكبير للاسرة حيث كانت هناك احياء يسكنها افراد من اسرة واحدة وذلك دليل على قوة التضامن فيما بينهم وقوة العلاقات القرابية في تلك المدة.

اما المرأة التي تشكل احد الركنين الذين يقوم عليهما كيان الاسرة، فضلا عن ان كونها الام والزوجة وربة البيت وكل ذلك يضفي على حقيقتها خطورة بالغة ويجعل لها كيانا وآثارا ظاهرة في الحاضر والمستقبل، وقد تختلف هذه الآثار قوة وضعفا سلبا وايجابا خيرا وشرا حسب ما تكون عليه حالتها وسلوكها ومركزها في المجتمع(١).

والمرأة الموصلية (ام بيت) كما يسمونها تقضي وقتها في شؤون دارها والاعتناء بتربية وتوجيه اولادها إلى ما يؤهلهم في حياتهم، وهي تعني بصورة خاصة بتربية بنتها وترشدها إلى ممارسة اعمال الدار منذ صغرها فتعاون امها في تدبير المنزل(٢). هكذا كانت تربى الفتاة لكي تكون (ربة بيت) من الطراز الاول ولكي يرغبها المتقدمون لها للزواج ولم يكن يسمح لها بالخروج من الدار الا برفقة امها أو احد اخوتها ولم يكن يسمح لها بالتعليم أو العمل خارج البيت (ما عدا بعض الاعمال الحرفية التي تساعد فيها زوجها بمصروف البيت كالحياكة أو الخياطة وغيرها) ويحصل ذلك داخل المنزل.

---

(١) عبد الرحمن الدربندي، المرأة العراقية المعاصرة، بغداد، دار البصري، الجزء الثاني، ١٩٧٠، ص١٦٥.

(٢) سعيد الديوجي، صناعات النساء في الموصل، مجلة التراث الشعبي، بغداد، دار الحرية للطباعة، العدد٩، ١٩٧١، ص١٦٨.

اما الذكور فكانوا يربون ليكونوا نسخة من الآباء اذ كان الناس يعيبون على الابناء الذين لم يعملوا باعمال آبائهم أو يسيرون على نهجهم لذلك نرى الابناء ينخرطون في العمل مع آبائهم منذ الصغر، اذ كان شائعا ان يعمل الابن عمل ابيه نفسه(١).

وعلى صعيد اختيار شريك الحياة كان الشاب أو الشابة لا يستطيعون الكلام في هذا الموضوع فالشاب ليس له الحق ان يتخذ القرار بالزواج أو يحدد شريكة حياته أو موعد زواجه اذ كان الآباء ومعهم الاقرباء يتخذون هذا القرار حينما يرون ان الشاب قد اصبح مهيئا للزواج من الناحية العمرية (اي اصبح رجلاً) ويستطيع ان يكون اسرة ويتحمل مسؤولية اعالتها، وكذلك الفتاة لم تسمح لها القيم والتقاليد الكلام في هذا الموضوع لان ذلك يعد عيباً ولا يجوز لها سوى اتباع ما يأمر به والداها، اذ ان الفتاة لا كلمة لها في زوجها المنتظر وليس من الادب ابدا ان تدلي برغبتها أو عدم رغبتها في هذا الزواج المفروض والمدبر من قبل والديها(٢). ان زواج الاقارب كان مفضلا بشكل كبير بين سكان الموصل ولا سيما زواج بنت العم فاذا ما ولدت ابنة العم ورغب اخوه بها يسميها باحد ابناءه فلا يتقدم آخر لخطبتها، فهم يفضلون ابن البلد على الاجنبي في الزواج حتى ان بعضهم كان يغالي في هذا فلا يزوج ابنته من محلة بعيدة عن محلته وقلما نجد موصلية تزوجت من غير موصلي اللهم الا اذا كان سكن الموصل مدة طويلة وعرف بحسن الخلق والدين(٣). وكانت الام تحاول توجيه

(١) ازهر العبيدي، الموصل ايام زمان، الموصل، مطابع التعليم العالي، ١٩٩٠، ص١٢٤.
(٢) احمد الصوفي، حفلات اعراس الموصل، مجلة التراث الشعبي، بغداد، وزارة الثقافة والاعلام، الجزء ٨، ١٩٧٠، ص٥٠.
(٣) سعيد الديوجي، تقاليد الزواج في الموصل، الموصل، دار الكتب للطباعة، ١٩٧٥، ص١٠.

ابنها للوقوع في فخ ابنة اختها أو اخيها ويدعو الاب ان يقع ابنه في حب بنات عمومته ويحاول الاقرباء عرض بناتهم علىاقربائهم من خلال الزيارات الاعتيادية في ايام الاسبوع أو الاعياد والمناسبات المفرحة، واذا كانوا جيران تتردد البنات على بيوت جيرانهم لمساعدتهم في اعمال المنزل الموسمية[١].

ولم يسمح للمرأة بالعمل أو التعليم بسبب النظرة المتخلفة للمرأة والتي تعدها انساناً خلق للاعمال المنزلية فقط، فضلا عن طبيعة المجتمع الموصلي الدينية التي تعد المرأة عورة ومن المحرمات ان يشاهدها أو يكلمها الغرباء في الطريق أو في السوق، وكان يقاس مدى محافظة الاسرة على القيم والاخلاق والتعاليم الدينية من محافظة نسائهم وعدم خروجهم من البيت الا لامور مهمة[٢].

وكان لدخول التلفزيون عام (١٩٦٨) إلى الموصل اثر بسيط في الحياة الاجتماعية للاسرة الموصلية والمجتمع الموصلي بشكل عام، فقد كان محدود الاستعمال لدى العوائل الغنية ولم يكن معروفا بشكل كبير ولم تسمح الظروف لانتشاره إلى البيوت كلها وذلك لاسباب اقتصادية (كلفة عالية) واسباب اجتماعية (قلة الوعي) باهمية هذا الجهاز وخصوصياته ولان الاشياء الغريبة والجديدة كان التعامل معها بحذر شديد[٣].

وتعد مدة بداية السبعينات وما بعدها مدة انتقال كبيرة في المجتمع العراقي لما شهدته من تطورات وتغيرات سياسية واقتصادية واجتماعية، وبدأت بعد

(١) لقاء مع اللواء المتقاعد ازهر العبيدي، مصدر سابق.
(٢) المصدر السابق.
(٣) لقاء مع السيد مثري العاني ، باحث وكاتب لديه مقالات وبحوث منشورة حول الموصل، ١٩٩٩.

ذلك مظاهر التحضر والتصنيع بالانتشار في ارجاء العراق كافة، وكانت الموصل من اولى المحافظات التي دخلتها مظاهر التحضر والمدنية لما تتمتع به المدينة من مكانة مهمة في العراق بعدّها ثاني محافظة بعد العاصمة بغداد من حيث حجم السكان، فقد انتشرت فيها المدارس وتحسنت الخدمات، الماء والكهرباء، والخدمات الصحية وانشئت فيها جامعة الموصل التي كان لها آثار كبيرة في حياة المدينة بعدّها مظهراً من مظاهر التحضر والتقدم.

اما على صعيد التغيرات الحضارية التي اسهمت في تغيير المجتمع الموصلي فقد اثرت عوامل عديدة ادورا مختلفة في عملية التغير وكما يأتي:

اولا: العوامل الطبيعية:

لقد كان للطبيعة الساحرة التي تتمتع بها المدينة تأثير كبير في حركة السياحة اذ اكد السياح جمال الموصل ونظافتها وتمتعها بسمات عديدة كالطقس الجميل والآثار القديمة والمناطق الخضراء والمراقد الدينية والغابات والشلالات وغيرها[1]. وتشكل كلها عوامل جذب قوية للسياح الذين منفكوا عن التواجد فيها مما انعكس على اختلاط اهل المدينة بهم واكتساب بعض الانماط والقيم السلوكية من السياح داخل القطر وخارجه، اذ يعد احد العوامل التي اسهمت في تغيير جزء من الركود الذي يصيب حركة تغير القيم في المدينة.

ثانيا: الموقع الجغرافي:

(١) سالم العزاوي، الموصل كيف تصبح مدينة سياحية، مجلة الجامعة، الموصل، دار الكتب، العدد التاسع، ١٩٧٧، ص٧٦.

كما كان لموقع المدينة من حيث كونه مركزاً تجارياً مهماً يربط الشمال بالجنوب وبالدول المجاورة اثر كبير في حركة التجارة فيها وانعكاسات ذلك على تحول المدينة إلى مركز تجاري مهم وتطبع ابنائها العاملين ببعض الطباع التجارية بحكم عملهم وانعكاسها على سلوكهم الاجتماعي.

ثالثا: التعليم:

وعلى صعيد التعليم والثقافة العامة فقد انتشرت المدارس بشكل كبير وبمراحل عديدة وكان لتأسيس جامعة الموصل الدور الفعال في تنشيط حركة التغير في المجتمع الموصلي اذ كان لها دور طليعي في تحطيم الهياكل الاجتماعية البالية والقيم السلوكية المهترئة من خلال تهذيب السلوك الاجتماعي ونبذ العادات والتقاليد المعرقلة للتطور وتكوين المواطن الصالح للمفاهيم والممارسات المتلائمة مع متطلبات التنمية الحضارية[1]. فهي التي ترفد المجتمع بالملاكات المتعلمة المثقفة التي تسهم في تقدم عجلة الحياة في المجتمع الموصلي وتساعد على تطويره وتنميته الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

رابعا: المجال الصناعي:

لقد كان للتقدم التقني المصحوب بمزيد من تعقد الحياة الاجتماعية ان ادى إلى ادماج انشطة النساء في تنمية المجتمع بكامله وادى إلى توسيع الفرص امامهن ولاسيما في القطاع الصناعي[2]. فقد كان لانتشار المصانع العديدة في الموصل مثل (معامل النسيج، والسكر، والالبسة الجاهزة، والسمنت) وغيرها من المصانع ومعامل القطاع الخاص اثر كبير في زيادة الطلب على الايدي

(١) احمد حسن حسين ، مصدر سابق، ص١٧١.
(٢) فهيمة المشهداني، وصباح النجار، اثر التصنيع في ادوار المرأة العاملة، مجلة آداب الرافدين، الموصل، مطبعة جامعة الموصل، العدد ٢١، ١٩٩٠، ص٢٥٥.

العاملة ودفع المرأة إلى الاسهام في القطاع الصناعي خاصة ان بعض الصناعات تتلاءم اعمالها مع طبيعة المرأة وتكون مفضلة فيها على الرجل، وشجع بذلك على خروج المرأة إلى العمل واسهامها بصورة فعالة في الحركة الصناعية في المدينة فضلا عن اسهامها في زيادة دخل الاسرة بعد تعقد الحياة وزيادة متطلبتها نتيجة لزيادة مظاهر التحضر في المجتمع.

خامسا: التلفزيون:

اما التلفزيون فقد توسع انتشاره في السبعينات بصورة واضحة وساعد على ذلك توزيع حكومة الثورة لاجهزة التلفزيون على بعض المقاهي في المدينة مما زاد رغبة الناس في اقتنائه، فقد وجد الناس فيه وسيلة ترفيهية جديرة بالاقتناء وذلك لان وسائل الترفيه في المدينة كانت محددة في تلك المدة ولاسيما وسائل الترفيه الاسرية، فضلا عن ان الاسرة الموصلية كانت قليلة الخروج من البيت لذا وجدت فيه المتنفس والملجأ الاسهل والاقرب اليها وبذلك كانت البداية لارتباط وثيق بين الاسرة والتلفزيون، فقد جمع التلفزيون شمل الاسرة الموصلية التي كانت تجتمع حوله مساء كل يوم بعد ان كان افرادها متوزعين ما بين المسامرة فيما بينهم أو خروج الرجال إلى المقاهي أو زيارة الاقارب أو النوم المبكر، وقد عزز هذا الترابط بين الاسرة والتلفزيون زيادة ساعات البث اليومي لتلفزيون نينوى اذ كان يبث من الساعة السادسة مساءا وحتى الساعة الثانية عشرة خلال مدة السبعينات قبل ربط شبكة المايكروويف.

ومن دلائل العلاقة بين التلفزيون وجمهور الموصل انهم كانوا يتصلون بالتلفزيون لطلب اعادة بعض البرامج الناجحة، أو يطمئنوا عند انقطاع البث في

حالة حدوث خلل معين فهم يرونه الضيف المهم الذي لا يملون منه ويحسون بالفراغ في غيابه[١].

والبناء الاجتماعي هو الاخر تعرض إلى تغييرات عديدة فمن الواضح ان التصنيع والتحضر ودخول الافكار الجديدة إلى المجتمع العراقي قد غير التركيب العائلي تغيرا لا يمكن تجاهله باية صورة من الصور فالعائلة العراقية في حالة تحول مستمر من عائلة ممتدة إلى عائلة نووية[٢].

وهكذا تحولت الاسرة الموصلية من اسرة ممتدة إلى اسرة نووية نظرا لمتطلبات الحياة العصرية فحاجات الاسرة تعددة وتوجب عليها استغلال مساحة اكبر من المنزل لتحقيق متطلباتها فضلا عن استعمال اجهزة حديثة تتطلب امكنة خاصة في البيت ومن ثم ضاق البيت الذي كان يحوي الاسرة الممتدة لان الاسرة النووية التي كانت تحويها بدأت بالانسلاخ تدريجيا لشراء أو استئجار بيوت جديدة سواء أكانت قريبة (وهو الاكثر انتشارا) أم بعيدة. وهذا التغيير في طبيعة الاسرة ادى إلى تغيرات اخرى في الوظائف والقيم الاسرية، العلاقات الاسرية داخل الاسرة اصبحت اكثر ديمقراطية واصبح للابناء دور في اتخاذ القرار، وتغيرت قيم الولاء والطاعة العمياء إلى قيم احترام الرأي والطاعة والمطالبة باحترام رأي الابناء يعدّهم جزءاً مهماً وحيوياً من الاسرة.

كما تغيرت مكانة وقيمة المرأة في الاسرة الموصلية فالام ازداد مركزها قوة وتحصيناً بتحسن مكانة المراة في المجتمع كله وظهرت قيم وآراء جديدة

---

(١) لقاء مع السيد حازم كلاوي، رئيس قسم الفديو تيب في تلفزيون نينوى منذ تأسيسه ولمدة ٢٧ سنة، ١٩٩٩.

(٢) احسان محمد الحسن، العائلة والقرابة والزواج، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٨١، ص٨٢.

(ان يساعد الزوج زوجته في اعمال المنزل، ان يأخذ مكانها اذا ما غابت عن البيت في الاهتمام بالابناء، ان يأخذ رأيها في امور تخص مستقبل العائلة.. الخ) وغيرها من القيم والافكار الجديدة التي افرزتها الحياة العصرية، ومن الجدير بالذكر ان هناك ترابطاً كبيراً بين مجموعة القيم الاسرية، وان التغيير الذي اصاب جزءاً منها انعكس على باقي الاجزاء وبنسب متفاوتة، فمثلا تحسين مكانة المرأة من خلال دخول قيم جديدة غير النظرة إلى المرأة بصورة اكثر ايجابية وانعكس على مكانتها من حيث كونها زوجة في الحصول على حقوق جديدة (التعليم، العمل، اشتراك في اتخاذ القرار وغيرها) من حيث كونها ابنة في احتلال موقع جديد في الاسرة اكثر اهمية وفي ابداء الرأي في شريك الحياة (الرفض أو القبول) وفي رسم خطط المستقبل بحسب طموحاتها.

ومن الامور التي ساعدت على تغير النظرة إلى المرأة هي:

اولا: انتشار مبادئ وقيم الحزب والثورة التي تؤكد اهمية المرأة بانها نصف المجتمع واهمية احتلالها للادوار التي تستحقها واعطاؤها الامتيازات مثلها مثل الرجل والغاء الافكار البالية التي تحط من مكانتها، ويتضح ذلك من خلال ما اورده التقرير السياسي للمؤتمر القطري الثامن لحزب البعث العربي الاشتراكي حين قال:

((ان علينا ان نعمل على توفير التعليم وفرص العلم الواسعة للمرأة وعلى مساواتها مع الرجل في الجوانب الحقوقية، كما ان علينا ان نناضل لفضح الاتجاهات والافكار الرجعية والمتخلفة التي تحط من قدر المرأة))[1].

(١) التقرير السياسي للمؤتمر القطري الثامن ، حزب البعث العربي الاشتراكي، بغداد، مطبعة الثورة، ١٩٧٤، ص١٣٤.

ثانيا: من خلال ما اصدرته حكومة الثورة من قوانين وتشريعات من اهمها:

أ - قانون الخدمة المدنية رقم (٧٢) لسنة ١٩٧٧.

ب- قانون خدمة المرأة في الجيش رقم (١٣١) لسنة ١٩٧٧.

جـ- تعديل قانون الاحوال الشخصية رقم (٢١) لسنة ١٩٧٨.

حيث سمحت هذه القوانين للمرأة بمزاولة حقها في الاشتراك في العمل وكذلك اعطتها الفرصة لكي تخدم بلدها من خلال الاشتراك في القوات المسلحة والتطوع في صنوفه المختلفة فضلا عن السماح لها بحرية الرفض والقبول فيما يخص موضوع الزواج وتحديد الحد العمري الادنى لسن الزواج، ان هذه القوانين والتعديلات اسهمت بدرجات متفاوتة في تغيير المكانة الاجتماعية للمرأة وادوارها ووظائفها واتجاهاتها ومن ثم تغيير اتجاهات الرجال وتقويماتهم لها بفعل اضعاف الامية الحضارية ومظاهر التخلف والمحددات الثقافية والقانونية والسلوكية والخلقية والقيمية لهذه المكانة بصورة مطردة تبعا لتقدم ثورتنا وزيادة تأثيراتها وتراكمات التغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي تركتها على الانسان والجماعات والمجتمع وبنائه الاجتماعي والحضاري[١].

وقد توجت قرارات الثورة ومنجزاتها باهم قرارين وهما:

١. قانون التعليم الالزامي رقم (١١٨) لسنة ١٩٧٦، الذي نفذ للعام الدراسي ١٩٧٨ - ١٩٧٩.

٢. قانون محو الامية رقم (٩٢) لسنة ١٩٧٨، ليكون الزاميا من عمر (١٥ إلى ٤٥).

وكان لهذين القرارين ابعاد اجتماعية عديدة للمرأة ومكانتها فقد اكد هذان القراران نهج الثورة في القضاء على النظرة السلبية للمرأة وضرورة اخذ

(١) علاء الدين جاسم، محو الامية والتغير الاجتماعي للمرأة، حلقة (آفاق تطوير المرأة العراقية)، بيروت، دار الخلود، ١٩٨١، ص٧٣.

حقوقها وامتيازاتها لكي تقف إلى جانب الرجل في حياتهما الاجتماعية، اذ ان القرارين اكدا الزام المرأة بالتعليم لانه حق من حقوقها وليكون بداية الطريق لاخذ مكانها في المجتمع وللتغيير الجذري الذي حصل لها خلال تلك المدة اذ تعد مدة السبعينات مدة انتقال كبيرة للمرأة ومكانتها اذ توالت الاحداث والقرارات وانتقل المجتمع نقلات سريعة في المجالات كافة مما ادى إلى انعكاسات ايجابية للمرأة واحتلالها مواقع اكثر تقدما في المجتمع(١).

ويلخص احد البحوث اسباب تغير النظرة إلى المرأة فيما يأتي:

١. عزم القيادة السياسية في القطر العراقي على تحرير المرأة من الظلم والتعسف الاجتماعي.
٢. انتشار الثقافة والتربية والتعليم بين الجماهير.
٣. تعاظم الاتصال الحضاري مع دول العالم الخارجي من خلال تطور وسائل الاعلام.
٤. دخول وانتشار واستقرار معالم التصنيع والتحضر والتحديث في جميع اجزاء المجتمع.
٥. تزايد كفاح الحركة النسوية في العراق من اجل تحرير المرأة من الاستغلال والتعصب الاجتماعي(٢).

ومن ابرز القنوات التي تنشر افكار تحرر المرأة هي وسائل الاعلام، والدور الذي قامت به وسائل الاعلام في تنمية المرأة واعادة بنائها النفسي والفكري دور كبير ومؤثر بل يصل في عظمته وتأثيره إلى درجة يحتل معها

---

(١) علاء الدين جاسم، مصدر سابق، ص٧٥.

(2) Ihsan. M. Alhassan, "The effects of industrialization on the social status of Iraqi woman", General federation of Iraqi woman, Baghdad, 1980, p.3.

مركز الصدارة بين الوسائل الاخرى بما فيها التشريع، وقد برز للتفزيون دور كبير في وسائل الاعلام بما حظي به من امكانات التأثير المقترن بالصورة والصوت والملتصق بالاسرة بشكل يومي ومباشر[١]. فالبرامج والمسلسلات والافلام العربية والاجنبية فضلا عن المحلية كلها كانت تحمل قيم جديدة للمرأة ومكانتها في الاسرة والمجتمع وتشجعها على اخذ حقوقها في الحياة، مما انعكس تدريجيا على تغير النظرة إلى المرأة، فمن خلال التلفزيون يتم تثبيت دور المرأة في اتخاذ القرار كما يتمثل في الاصرار على التعليم، والعمل ومساندة الرجل في تحمل المسؤولية في تربية الابناء وفي الجانب الاقتصادي كما في الجانب الانساني والاجتماعي[٢].

اما فيما يخص الزواج وتغير قيمه في مدينة الموصل فان ابرز العوامل التي اسهمت في تغيير قيم الزواج كانت رفع المستوى التعليمي لافراد الاسرة ودخول غالبيتهم إلى المدارس مما ساعد على اعطائهم بعدا في الرؤية[٣]. واصبحوا اكثر وعيا باهمية اختيار الفرد لشريك حياته بما يرغبه هو من مواصفات وشروط يحبها ويرغب بوجودها لدى شريك حياته، لا كما يراها ابواه لانه هو الذي سيعيش هذه الحياة مع شريكه فلابد من مواءمة بينهما بما يتناسب مع طبيعة الطرفين وافكارهم وثقافاتهم ورغباتهم، وقد عزز ذلك التلفزيون بما يعرضه من برامج وبالذات (المسلسلات والافلام) التي كانت تشجع على حرية الاختيار في محتواها بما تقدمه من معالجات للمشكلات التي

(١) ناظم يونس سيالة، دور وسائل الاعلام في تطوير المرأة، حلقة (تطوير المرأة العراقية)، بيروت، دار الخلود، ١٩٨١، ص٢٦٥.
(٢) لقاء مع السيدة بتول غزال سعيد، رئيسة اتحاد نساء العراق فرع نينوى، ١٩٩٩.
(٣) لقاء مع السيد مثري العاني، مصدر سابق.

تنجم من اختيار الابوين وانعكاسات ذلك بصورة سلبية على حياة المتزوجين من الابناء واستمرار التدخل فيها حتى بعد الزواج، كما انه كان يشجع على وجود علاقة تعارف بين الشاب والشابة قبل الزواج من اجل التعرف اكثر إلى طبيعة الطرف المقابل وشخصيته وثقافته لكي يكون الاختيار اكثر دقة، كل ذلك جعل الابناء يطالبون بحقهم في الاختيار أو (القبول، الرفض) وعزز هذا الطلب زيادة التعليم وانتشار مظاهر التحضر والتصنيع وما لها من انعكاسات على القيم بشكل مباشر اذ ادت إلى التغيير التدريجي فيها حتى تصل إلى ما هي عليه الان وتستمر، فالابناء بعد ان يختاروا بحرية أو بالاشتراك مع الابوين للاستفادة من خبرتهم الطويلة في الحياة وبعد ان يحصل الاختيار يبدأ الاهتمام بتكاليف الزواج اذ ظهرت قيم جديدة تتطلب الاهتمام بهذه التكاليف.

كما ان نسبة الزواج بغير الاقرباء قد اخذت تزداد في مدينة الموصل نتيجة لعدة اسباب منها:

أ - زيادة الاحتكاك مع الغرباء.

ب- انتشار افكار التحضر والتصنيع.

جـ- تشجيع وسائل الاعلام وعلى رأسها التلفزيون.

فضلا عن التشجيع على السكن المستقل نتيجة متطلبات الحياة العصرية مما ادى إلى الخروج إلى اماكن سكن جديدة فضلا عن تشجيع المسلسلات والافلام الدرامية المعروضة في التلفزيون على الاستقلالية والابتعاد عن تدخل الاهل والاقرباء في شؤون الاسرة الجديدة.

اما على صعيد البث التلفزيوني الخارجي الذي يصل إلى مدينة الموصل فان استقبال بث القنوات غير العراقية (سورية، وتركيا) وبعض القنوات المحلية غير المركزية (اربيل، ودهوك) اثر كبير في جذب اهتمام المشاهدين

ولا سيما القناة الفضائية السورية التي تبث لاكثر من (١٩) ساعة في اليوم وكذلك بقية القنوات السورية، ومن الملاحظ ان هذه القنوات غير العراقية تحمل افكاراً وقيماً بعضها غريب عن مجتمعنا وتمتاز بطبيعتها المتفتحة قياسا على تلفزيوننا العراقي ولاسيما القنوات التركية وبعض برامج القنوات السورية وهي بلا شك تشكل عوامل جذب للمشاهدة من قبل ابناء المدينة لها فضلا عن تنوع برامجها وتطور اساليبها الفنية، وهذا يدق امامنا نواقيس الخطر امام ما يتردد من البث التلفزيوني العالمي المباشر هذا البث الذي لاتقف امامه حدود والذي يصل إلى كل البيوت وبسهولة (كما يقال) وهنا تثار عدة اسئلة:

كيف نمنع الغربيين وقيمهم السيئة،كيف نحمي ابناءنا من هذا السيل العارم من المعلومات و برامج التسلية والعنف والجنس والجريمة، هل نترك اعمالنا ونجلس معهم في البيت، هل نمنعهم من مشاهدة هذه البرامج،وحتى ان منعناهم هل نضمن عدم مشاهدتهم لها في اثناء غيابنا، عند اصدقائهم، في اماكن اخرى،ما الحل ؟؟؟

انها التربية الرصينة والتسلح بمبادى الدين الحنيف وتوعية الابناء بما يناسبهم وما لا يناسبهم من البرامج، انه التعاون بين اجهزة التلفزيون مع الاسرة وباقي مؤسسات المجتمع في القيام لتربية رصينة لابناء ها، انها تدعيم للقيم الاصيلة التي تحافظ على نقائنا واصالتنا، انها خطط التلفزيون المحلية والعربية لجعل المشاهد العربي ينجذب إلى تلفزيونه المحلي وقنواته ويترك القنوات التلفزيونية الوافدة، انها الوعي السليم الذي نزرعه في ابناءنا لنسلحهم امام مغريات الغرب الخطيرة، انه تأكيد القيم السليمة ونبذ ما هو جديد وغريب عنا، انه القاعدة الاخلاقية التي يجب ان نبنيها جميعا لنا ولابناءنا لكي نميز ما هو جيد ومناسب لحياتنا وما هو مضر.

وعلى الرغم من كل التغيرات التي حصلت في المجتمع الموصلي ما يزال المجتمع متمسكا بقيمه الدينية وتراثه العربي بشكل عام والاسرة الموصلية بشكل خاص، فاننا نجد ان المجتمع ما يزال متمسكا بقيمه وطبيعته في التربية المتزمتة والتمسك بالقيم التقليدية مما جعل تأثير هذه العوامل ومن ضمنها التلفزيون تتباين بشكل أو بآخر وبنسب مختلفة بين الاسر الموصلية ، كما ان رواسب القيم التقليدية مازالت موجودة ويمكن ملاحظتها داخل الاسرة والمجتمع الموصلي من خلال استمرار اخذ رأي الآباء في الزواج وفي حرية المرأة وخروجها إلى العمل والدراسة اذ يمكن ملاحظة ترك البنات للدراسة بعد اكمال المرحلة الابتدائية أو قبل اكمالها بسبب ضغوط الآباء.

ومازالت هناك ثنائية في الاسواق (للرجال، للنساء) كما ان هناك تحديد ايام للعوائل واخرى للشباب في اماكن الترفيه العامة (كمدينة الالعاب، الجزيرة السياحية) فضلا عن ضعف الاختلاط بصورة عامة بين الذكور والاناث حتى على مستوى جامعة الموصل التي تعد اعلى مراكز التعليم والتحضر في المدينة، نقول هذه الملاحظات كلها وغيرها دلائل على سيطرة القيم بشكل يقلل من اثر التلفزيون أو غيره من الوسائل الحديثة في الحياة الاجتماعية في المدينة.